الغنية في الأصول

تأليف

الإمام الأجل فخر الأئمة

أبو صالح نصر بن إسحاق بن أحمد بن أبي جعفر

السجستاني

المتوفى سنة ٢٩٠ هـ

تحقيق وتعليق

الدكتور

محمد صدقي بن أحمد البورنو

الأستاذ المساعد

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م

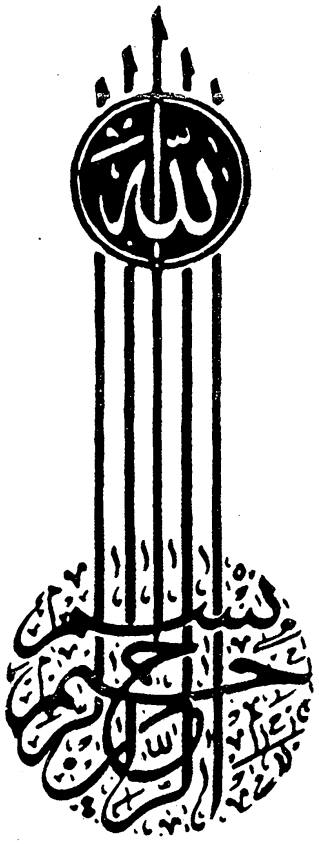
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــداء

الى

من شاركتنى ولا زالت تشاركنى حلو الحياة ومرها خيرها وشرها.

الى رفيقة درب الهجرة وأنيسة وحشة الطريق.

الى مَن كانت ولا تزال تنفث فىّ روح الجلد والمثابرة والصبر والمصابرة لنقطع سوياً طريق الحياة بقوة وصبر وإيمان لنصل الى الغاية المرجوة وهي رضوان الله وجنّته.

الى رفيقة عمرى وأم أولادي زوجتي.

أم الحارث

أهدى هذا الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة المحقـق

• وصف المخطوطة

كتاب الغنية في الأصول يقع ضمن مجموع فيه ثلاث رسائل: رسالتان في الحكمة والكلام ورسالة الغنية في أصول الفقه: والرسالة الأولى في الحكمة و يعنون بها العلوم الطبيعية ــ لأن هٰذا هو مضمون الرسالة، وليس عليها اسم المؤلف وهي مخطوطة تشمل ١٠٣ ورقات من المجموع وقد تمت كتابتها في المحرم من سنة أربع وأربعين وسبعمائة للهجرة، وهي بخط رقعى منقوط في غالبه.

وأما الرسالة الثانية فهى في علم الكلام ومؤلفها صاعد بن محمد بن مصدق السعدى ألفها لأحد الوزراء ولم يذكر اسمه، وهٰذه كسابقتها مع اختلاف يسير في الخط لأن الكاتب مختلف وهى متقدمة عما سبقتها حيث تمت كتابتها في غرة شهر الله الأصم رجب من سنة تسع عشرة وسبعمائة للهجرة في بلدة نيسابور، وقال كاتبها في نهايتها: وهٰذا حكاية خط المصنف رحمة الله عليه، وهٰى تشمل الورقات من ١٠٥ ــ ورقة ١٢٥ من المجموع. ثم في نهاية الورقة ١٢٥ منه كتب بخط رقعى مغاير: كتاب الغنية من تصنيف الامام الأجل فخر الأئمة أبى صالح منصور ابن ابى جعفر السجستانى رحمه الله. ثم في الصفحة الاولى من الكتاب وهى الورقة ١٢٦ من المجموع وعلى جانبى البسملة كتب بخط نسخى حديث: كتاب الغنية في الأصول للسجستانى.

وعند تحقيق النظر نلاحظ أن خطى رسالة علم الكلام والغنية متقاربان جداً مما يرجح أنهما كتبا في عصر واحد، وعلى هٰذا فيكون كتاب الغنية في نسختنا هٰذه من مخطوطات القرن الثامن الهجرى، والله اعلم.

ورسالة الغنية هٰذه نسخة وحيدة لم أعثر على أخت لها وهى مكونة من أربع وثلاثين لوحة أى ثمان وستين صفحة من الحجم المتوسط وهى غير مرقمة عدا اللوحة الأخيرة منها اذ تحمل رقم ١٦١ وهو نهاية المجموع ــ وفى كل صفحة منها ٢١ سطرا، في كل سطر ما بين ١٥ــ١٨ كلمة وهى مكتوبة بخط رقعى واضح تنقط بعض حروفه تارة وتارة لا تنقط. والنسخة مصححة بدليل وجود كثير من التصحيحات في جوانبها و بجوارها كلمة «صح» وليس عليها تاريخ.

ومجموع هٰذه الرسائل موجود في مكتبة شيخ الإسلام فيض الله افندي في استنابول تحت رقم ٢١٨٢.

• اسم المؤلف ونسبة الكتاب اليه:

المؤلف كما هو مكتوب على آخر ورقة من رسالة علم الكلام: ابو صالح منصور ابن أبى جعفر السجستانى.

وعلى غلاف المجموع ابن صالح منصور بن أبى جعفر السجستانى.

وقد ذكره صاحب كشف الظنون جـ١ ص١١٤ فقال: أصول الشيخ أبى صالح منصور بن أبى صالح بن أبى جعفر السجستانى المتوفى سنة ٢٩٠هـ.

وذكره أيضاً صاحب هدية العارفين جـ٦ ص٢٤٢ حيث قال: أبو صالح منصور بن اسحق بن أحمد بن أبى جعفر السجستانى المتوفى سنة ٢٩٠. صنف أصول الفقه.

و بحثت بعد ذلك على ترجمة مستفيضة له فلم أعثر على شيء سوى ما كتبه صاحبا كشف الظنون وهدية العارفين، وهما لم يذكرا أن له كتاباً أسمه الغنية في الأصول، وإنما ذكرا أن له رسالة في أصول الفقه فقط، كما بحثت في كل كتب تراجم الحنفية التي استطعت الحصول عليها فلم أعثر له على ترجمة كذلك، كما سألت عنه كثيراً ممن يشتغلون و يعتنون بالتراجم الحنفية خاصة فلم يفدنى واحد منهم بشيء عن المصنف.

كما أننى راجعت كثيراً من كتب أصول الحنفية المتأخرين لعلى أعثر على ذكر لكتاب الغنية فلم أعثر الا على نص واحد ذكره عبد العزيز البخارى في كشف الاسرار جـ٣ ص٤٥ حيث قال: وذكر في التقويم والغنية الاختلاف في الصك أيضاً في مسألة كتاب القاضى الى القاضى. وهي مسألة مذكورة فيكتاب الغنية ص١٢٤كما أنها مذكورة في كتاب تقويم الادلة، وعبارة البخارى تشير الى وجود ارتباط بين كتاب التقويم وكتاب الغنية فكأنهما لمؤلف واحد ولكن يعكر هٰذا الاستنتاج أن صاحب كتاب الغنية يشير الى الإمام القاضى أبى زيد بعبارة الغائب ولو كان الكتاب لأ بى زيد لأشار الى نفسه بعبارة الحاضر أو أشار الى التقويم ولكن ذلك لم يحدث.

وهٰذا وإشارة صاحب كتاب الغنية لأ بى زيد الدبوسى وأخذه عنه في أكثر من موضع وهو متوفى سنة ٤٣٠هـ تعكر نسبة الكتاب الى السجستانى

لأن صاحبي كشف الظنون وهدية العارفين حددا وفاته بسنة ٢٩٠هـ ولا يعقل أن يأخذ المتقدم عن متأخر مات بعده بمائة وأربعين عاماً، فإما أن لا يكون الكتاب من تأليف أبي صالح السجستاني إذا صحت سنة وفاته، وإما أن يكون من تأليفه ووقع الخطأ في سنة الوفاة وهذا ما أرجحه.

● وصف محتويات الكتاب وترتيبه وأهميته

سار المؤلف في ترتيب كتابه على ترتيب تقويم الأدلة تقريباً، ولم ينظم كتابه على أبواب وفصول من أول الأمر فبعد ذكر المقدمة قال المؤلف: انواع العلوم والحجج الموجبة للأحكام ثم هو يقول: القول في بيان كذا، ثم هو يذكر فصلاً في الأمر وفصلاً في كذا ثم تارة يذكر الباب، فمعظم الكتاب مرتب على فصول غير مرقمة.

وكما رأينا فقد لا يذكر فصلاً ولا باباً ولكي يسير الكتاب على نظام واحد جعلته على فصول كما فعل المؤلف في أكثره وما زدته فقد وضعته بين معكوفين [ ] وما جعله المؤلف باباً تركته على حاله.

والكتاب على ايجازه شامل لجل موضوعات الأصول إن لم يكن كلها، ورتبها حيث ذكر الأدلة أولا وسماها الحجج الموجبة للأحكام وهي الآية والدليل والعلة والحال ــ والمراد به الاستصحاب ــ والمراد بالحجج عنده الأدلة الشرعية التي تستنبط منها الأحكام حيث ذكر أيضاً الكتاب والسنة والاجماع والقياس، وما يوجب العلم منها وما يوجب الظن، ثم ذكر الأحكام كالايجاب والنهي ومسائلهما، كما ذكر الاسباب الشرعية والمراد بها عند غير الحنفية ــ الاحكام الوضعية.

ثم ذكر مراتب الاملاء ومنازله ليتطرق الى ذكر السنة والمندوب، ثم ذكر القضاء والأداء والعزيمة والرخصة وأنواعها.

وكما تطرق الى ذكر دلالات الالفاظ كالعام والخاص والمشترك والمؤول والحقيقة والمجاز والمحكم والمتشابه والفاظ كل ودلالته، ثم تطرق الى الاستدلال بعبارة النص وإشارته ودلالته ومقتضاه، والى المفاهيم والمطلق والمقيد والنسخ وقوادح القياس والاجتهاد والتقليد، وختم الكتاب بفصل فيه مسائل شتى مما يحتاج اليه المناظر.

وهو في كل ذلك يسوق الموضوع بعبارة واضحة موجزة ثم يفصل القول فيما يريد التفصيل فيه بأسلوب دقيق رفيع المستوى لا غموض فيه ولا استغلاق، وهو حينما ينصب الخلاف لا ينصبه إلا مع الإمام الشافعي رضى الله عنه. ولم يذكر المصنف في كتابه أحداً من المخالفين غيره إلا ما يشير به الى خلاف الظاهرية أحياناً قليلة. وقد ذكر بعض المعتزلة مرة حيث ذكر أبا عَلى الجبائي وأبا الهذيل العلاف عند ذكر النص المخصِّص وهل يجوز أن يتأخر عن العام؟

وقد ذكر المصنف من علماء الأصول الحنفية أبا زيد الدبوسى في كتابه مرتين: الاولى في بيان المخلص عن المعارضة، والثانية: في الاختلاف في الترجيح بزيادة العدد وفي هٰذا دليل أكيد على تأخر المؤلف عن الدبوسى أو معاصرته له على أقل تقدير.

هٰذا وقد ذكر قبلا أبا الحسن الكرخى والجصاص أيضاً.

وعلى كل حال فالكتاب ذو قيمة ومكانة عظيمة حيث يوضح مذهب

الحنفية في الأصول توضيحاً لم أره لغيره من الأصوليين الحنفية حيث ابتعد في كتابه عن تعقيدات الكلاميين وتنطعات المنطقيين، فالكتاب مع صغر حجمه يوضح قواعد الأصول عند الحنفية توضيحاً كاملاً خلافاً لأصول البزدوى ــ مثلا ــ المشهور بانغلاقه وتعسر عبارته، وهو الى جانب ذلك يمثل مرحلة متقدمة من مراحل التأليف الأصولي عند الحنفية حيث يكتفى المصنف بإيراد القاعدة الأصولية بإيجاز ووضوح ثم يذكر رأى الشافعى المخالف لها ثم هو يورد دليل الشافعى ووجهة نظره بأمانة، ثم يرد عليه بأدب وتقدير لمكانته. فالكتاب في الحقيقة يسد في الخزانة الأصولية ثغرة واسعة، حيث كانت أصول الحنفية ضائعة بين المسائل الفقهية التى تغمر كتب الأصول عندهم، فجاء هٰذا الكتاب ليقرر القواعد مجردة عن تلك المسائل لتمكن المقارنة بينها و بين قواعد غيرهم بكل يسر وسهولة، ويمكن بعد ذلك حصر مسائل الخلاف في أضيق نطاق ممكن.

• عملى في الكتاب

لما كان الكتاب لم يوجد منه إلا نسخة خطية واحدة وهي مع وضوح خطها وسلامة عبارتها يسرت كثيراً من المصاعب التي يمكن أن يواجهها المحقق عند التحقيق، ولكن مع ذلك لما كان لابد من توثيق كثير من القواعد الأصولية عند الحنفية و بيان كثير من المسائل الفقهية التى أشار اليها المصنف كان لابد من الرجوع الى كتب الأصول والفقه عند الحنفية، فكنت ارجع الى تلك الكتب المؤلفة في الحقبة ما بين القرن الرابع الهجرى والسادس، فكنت أرجع الى أصول الجصاص وتقويم الأدلة للدبوسى وأصول البزدوى والسرخسى وأحياناً الى ميزان الأصول

للسمرقندى أو المنار وشروحه، وكنت أشير في الهامش لموضوع كل بحث في هٰذه الكتب بالجزء والصفحة كما كنت أرجع في الفقه الى بدائع الصنائع للكاسانى وغيره من فقه الحنفية.

ولما كان المصنف قد نصب الخلاف مع الشافعى رحمه الله فكنت أحقق ما نسبه الى الشافعى بالعودة الى كتب الشافعى كالأم أو مختصر المزنى أو الرسالة أو أحكام القرآن فإذا عجزت عن العثور على رأى الشافعى في هٰذه الكتب بحثت في تخريج الفروع للزنجانى أو التمهيد للأسنوى أو المجموع للنووى وغيره من كتب فقه الشافعية.

وعند نقل ونسخ المخطوطة كنت أجد بعض الأخطاء الاملائية فاصححها وأكتبها بالاملاء الحديث وقد أشير الى بعضها وقد لا أشير الى بعض آخر، كما أن ما كان فيها من أخطاء نحوية أو لغوية أو تعبيرية أصححه وقد أبقيه وأشير اليه وقد أضعه بين معقوفين [ ] وقد لا أشير، وقد عمدت الى شرح كثير من الالفاظ اللغوية التي ذكرها المؤلف معتمداً على كتب اللغة، وقد أذكر تعريفاً لبعض المصطلحات التي ذكرها المؤلف دون تعريف أو أضيف ــ في الهامش طبعاً ــ تعريفاً آخر الى التعريف الذي ذكره المؤلف لأزيد الأمر وضوحاً وبياناً.

كما أننى عمدت الى شرح كثير من القواعد الأصولية التى ذكرها المؤلف، كما وضحت كثيراً من المسائل التى أشار اليها أو الى الخلاف فيها ليتضح لطالب العلم وللقارىء مقصود المؤلف من ايراد المسألة.

كما أننى أضفت كثيراً من العناوين لموضوعات أهمل المصنف

العنونة لها فأضع العنوان بين معكوفين [ ] كذلك أو أضع عنواناً جانبياً لمسألة ما.

كما أنني رقمت الآيات الكريمة ونسبتها الى سورها من القرآن الكريم، حيث استشهد المؤلف بعدد كبير من آيات الكتاب، كما خرَّجت الاحاديث التي ذكرها المصنف أو أشار اليها، كما ترجمت للأعلام الذين ورد ذكرهم في الكتاب، كما أنني نسبت الأبيات الشعرية التي ذكرها المصنف مستشهداً بها الى قائليها إلا ما كان قائله مجهولاً فلم أعثر عليه.

هٰذا وارجو الله مخلصاً أن يجعل عملي خالصاً لوجهه إنه جواد كريم، وهو حسبي ونعم الوكيل.

المحقق

د/ محمد صدقي بن أحمد البورنو

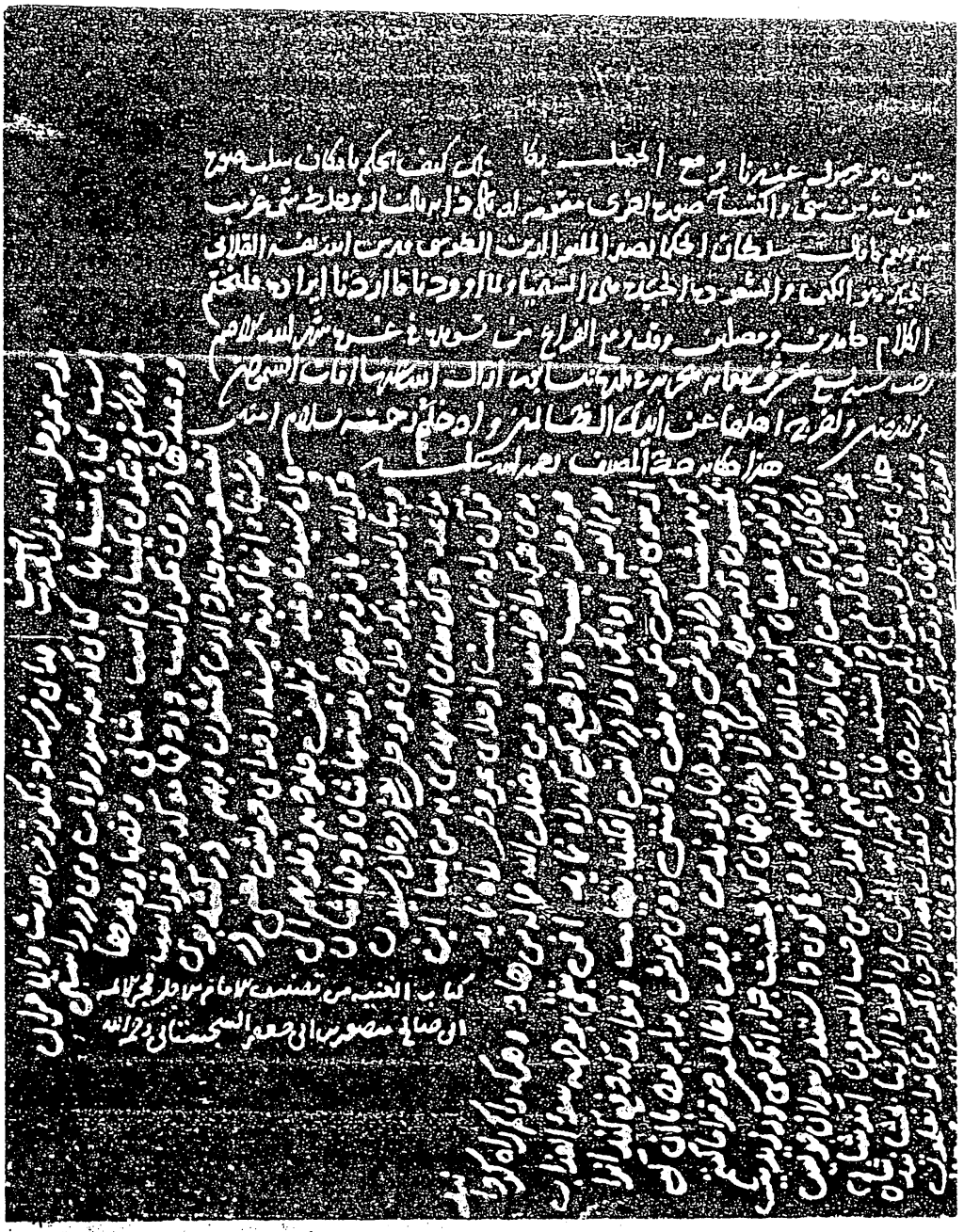

الصفحة الأخيرة من رسالة علم الكلام

الصفحة الأولى من كتاب الغنية

الصفحة قبل الأخيرة من كتاب الغنية